

المكان وأثره في الدعوة

د. رعد سلمان حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

وسار على هديه إلى يوم يلقاه .

وبعد:

يعد المكان ركيزة أساسية لدى البشرية في بناء المجتمع ، بل هو جل اهتمام الباحثين والدارسين اليوم ، وذلك لتعدد استخدامه وتنوعه ، فالساكن يبحث عن مكان يأوي فيه ، والتاجر يبحث عن مكان يتاجر فيه ، والطبيب يبحث عن مكان يعالج فيه المرضى ويكشف عليهم ، والعالم يبحث عن مكان يعلم فيه ، والباحث يبحث عن مكان ينجز فيه أبحاثه العلمية ، وهكذا بقية الصفات والمهن ، فلا يمكن لنا أن نتصور إنسانا ذا مهنة وعلم بلا مكان يحويه ويضمه فالمكان له تأثير نفسي في حياة الإنسان ، لذلك نراه يحن إلى موطن صباه والأيام الخوالي التي قضاها فيه ، ولذلك نرى النبي ﷺ عندما خرج من مكة قال قولته المشهورة ((والله إنك ، لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلي ، والله لولا أنني أخرجت منك ، ما خرجت))^(١). ودونك الأدب العربي ، لا سيما أدب ما قبل الإسلام ، إذ كان للرسوم والأطلال مساحة واسعة في قصائد الشعراء ، يقول امرؤ القيس :

قفا نبكي من ذكرى حبيب وخيول يسقط اللوى بين الدخول فحومل

حيث أصبحت المقدمة الطلية لازمة من لوازم العصر الجاهلي وردحا في ظل الإسلام . وما أطلال الديار إلا أماكن . فرأيت من اللازم بعد هذا كتابة بحث حول المكان بمنظور شرعي ، نستعرض فيه الأماكن وآثارها في الدعوة ، وماذا لو أن هذه

(١) سنن ابن ماجه - كتاب المناسك باب فضل مكة - حديث : ٣١٠٥

الأماكن لم تكن موجودة في أيام وحياة رسول الله ﷺ لذا وقع اختياري بعد هذا على بحثي الموسوم بـ ((المكان وأثره في الدعوة)) .

فقسمته على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تناولت فيه حركة الدعوة الإسلامية من خلال (دار الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ) فعرفته وبينت الأسباب التي اختار النبي ﷺ بسببها هذه الدار .
وأهم خصائصه ورجاله ، والمنهج العلمي الذي كان يدرس فيه ، وما الآثار التي تركوها لنا ؟ فكان المبحث بخمسة مطالب :

١. التعريف بالمكان لغة واصطلاحاً .
٢. التعريف بالأرقم حياته وأعماله وسبب اختيار النبي صلى الله عليه وآله عليه وسلم لهذه الدار .
٣. أهم خصائصه ورجاله .
٤. المنهج العلمي فيه .
٥. آثاره .

المبحث الثاني : مكان الدعوة وأثره في العهد المدني : المسجد نموذجاً ، تناولت فيه حركة الدعوة الإسلامية بعهد جديد ومكان آخر .

فكان على ثلاثة مطالب هي :

١. المسجد لغة واصطلاحاً .
٢. دعائم وأسس بناء المسجد .
٣. آثاره ورجاله .

المبحث الثالث : ركزت فيه على أهم الدروس والعبر المستوحاة من هذه السيرة الربانية والحركة الدعوية النبوية المباركة وما تركته في ظلال معانيها ، يستفيد منها القاصي والداني.

المبحث الأول

المكان وأثره في الدعوة ((دار الأرقم بن الأرقم نموذجاً))

- المكان لغة : مأخوذ من (مكن) : والمكين ، والمكن : بيض الظب ، ظبة مكن وامكنت الظبة والجزرة : اذا جمعت البيض في جوفها . وفي الحديث ((اقروا الطير على مكنايتها)) ومكناتها : أي عشتها أو أمكنتها .
وامكن الشيء فهو ممكن ومكين ومنه الامكان والتمكين . وفلان ذو مكنة من هذا الامر : أي ذو مكانة واستمكان ، وتمكن : أخذ المكان ويجمع المكان امكن . ومضيت على مكينتي : أي هديي وسيرتي ^٢ .

. وفي الاصطلاح : هو السطح الباطن من الجسم الحاوي مماس للسطح الظاهر من الجسم المحوى .

. وعند المتكلمين : فمنه مبهم ومنه معين :

المبهم : عبارة عن مكان له اسم تسميه به ، كالخلف فان تسمية ذلك المكان بالخلف انما هو بسبب كون الخلف في جهة وهو غير داخل في مسماه .

المعين : عبارة عن مكان له اسم سمي به بسبب امر داخل في مسماه ، كالدار لها حائط وسقف وغيرهما وكلها داخلية في مسماه ^(٣) .

(٢) المحيط في اللغة / ج ٢ / ص ٥٢

(٣) مجمل اللغة لابي الحسين ت ٤٠٦ ط ١ / ج ٢ / ٨٣٧ - ٨٣٨ ، والتعريفات للجرجاني

تعريف بدار الأرقم فمن هو وأين هذه الدار ؟ حياته وأهم أعماله :-

الأرقم بن أبي الأرقم القرشي المخزومي صحابي جليل ، واحد السابقين إلى الإسلام بمكة ، وكنيته أبو عبد الله ، وكان سابع سبعة في الإسلام ، وقيل بل عاشر من اسلم . وهو الذي استخفى رسول الله ﷺ في داره والمسلمون معه ، فكانت داره أول دار للدعوة إلى الإسلام^(٤) .

أول دار للدعوة :-

كانت داره على الصفا ، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يجتمع بأصحابه فيها بعيدا عن أعين المشركين ، ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ، وفي هذه الدار اسلم كبار الصحابة وأوائل المسلمين ، وبقي الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم حتى تكاملوا أربعين رجلا ، خرجوا يجهرون بالدعوة إلى الله ﷻ^(٥) .

جهاده :-

هاجر الأرقم ﷺ إلى المدينة ، وفيها آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن سهل ﷺ وشهد الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ بدرا واحدا والغزوات كلها ولم يتخلف عن الجهاد وأعطاه رسول الله ﷺ دارا بالمدينة وروي عنه انه تجهز يوما و أراد الخروج إلى بيت المقدس فلما فرغ من التجهيز والإعداد جاء إلى النبي ﷺ يودعه فقال له النبي ﷺ ما يخرجك يا أبا عبد الله أحاجة أم تجارة ؟ قال له الأرقم ﷺ يا رسول الله بابي أنت وأمي إنني أريد الصلاة في بيت المقدس فقال له الرسول ﷺ صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فجلس الأرقم وعاد إلى داره مطيعا للنبي ﷺ منفذا لأوامره ﷺ^(٦) .

(٤) ينظر فقه السيرة محمد الغزالي / دار الرحمة / ص ٩٥ ، وفقه السيرة محمد سعيد

البوطي / ط ١١ ص ٥٥ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير / دار العلم للملايين / بيروت لبنان / ط ١ ج ٢ ص ١٤٩ .

وفاته :-

ظل الأرقم ؓ يجاهد في سبيل الله لا يبخل بماله ولا نفسه ولا وقته في سبيل نصرته الإسلام والمسلمين حتى جاءه مرض الموت . ولما أحس ؓ بقرب أجله في عهد معاوية بن أبي سفيان ؓ أوصى بان يصلي عليه سعد بن أبي وقاص ؓ ثم مات الأرقم وكان سعد غائبا عن المدينة آنذاك ، فأراد مروان بن الحكم ؓ أمير المدينة أن يصلي عليه فرفض عبيد الله بن الأرقم فقال مروان ؓ أئحبس صاحب رسول الله ﷺ لرجل غائب ؟ ورفض ابنه عبيد الله بن الأرقم أن يصلي عليه أحد غير سعد بن أبي وقاص وتبعه بني مخزوم على ذلك حتى جاء سعد ؓ وصلى عليه ودفن بالعقيق سنة ٥٥ هـ وكان عمره بضعا وثمانين سنة.

الأسباب التي دعت النبي ﷺ لاختيار هذه الدار :-

١. إن صاحب هذا الدار وهو الأرقم ؓ لم يكن معروفا بإسلامه ، فلم يكن يخطر ببال أحد من المشركين أن يجتمع النبي ﷺ والصحابة في هذه الدار .
٢. أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه ، ولم تفكر قريش أن هناك تجمع إسلامي سيكون عند أحد الفتيان بل إن نظرها كان يتجه في الغالب إلى بيوت كبار الصحابة .

٣. ان هذه الدار كانت قريبة من الكعبة المشرفة .

فالتقى رسول الله ﷺ بأصحابه في هذه الدار وتلقوا عنه تعاليم الإسلام حيث كان يتلو عليهم ما ينزل عليه من القرآن الكريم ويعلمهم أمور دينهم وشأن الدعوة وقد كانت عناية الله في تلك الفترة واضحة جلية لا تفارقهم بحال وكان من الحكمة البالغة في بداية الدعوة الابتعاد بهذه العصابة المؤمنة عن كل ما يضر بها والله غالب على أمره .

خصائص هؤلاء الفتية المؤمنة :-

المنهج الرباني في تلك الدار :-

(١٢) الأحزاب ٢٣ .

اهم الآثار :-

١. الأثر العلمى :

(۱۴) سورة محمد ﷺ ۱۹

رسول الله ﷺ ونوسع دائرة العلم والمعرفة في عقولهم حتى إذا ما ذكرت شبهات وطعون في الإسلام يستطيع المسلم من خلال ما تعلمه أن يرد عليها ويثبت بطلانها فيكون ذلك انتصارا للدين حتى لا ينخدع كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لست بالخب ولا الخب يخدعني .

٢. الأثر التربوي :

إن العلم وحده لا يكفي بل كان النبي ﷺ في هذه الدار يربي أصحابه ويبين لهم ما يواجهونه من أخطار ويقوي فيهم المعاني الإيمانية التي تقوي عزيمتهم ويؤكد لهم أن بعد العسر يسرا ويبين لهم أن التمسك بالمنهج هو الذي يؤدي إلى النصر والتمكين مستعرضا لهم واقع سير الرسل والأنبياء ممن قبله ومن واقع حياة المؤمنين في كل وقت وحين فكان لا بد لهم أن يثبتوا ويسعوا إلى تكامل شخصياتهم لذلك لا بد لهم من معرفة العلم مع التطبيق العملي والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، إن هذه الدار كانت بمثابة المدرسة العظيمة التي تخرج منها كبار الصحابة من المهاجرين والسابقين الأولين إلى الإسلام أمثال أبي بكر وعمر والعشرة المبشرين ومن جاء بعدهم من صحابة النبي ﷺ ونعلم جميعا أن هذه الفترة لم يكن عدد المسلمين فيها كثيرا وذلك لظروف الإيذاء والاضطهاد وظروف سرية الدعوة إلا أن نوعية المسلمين الذين رباهم النبي ﷺ في مثل هذه الدار كانت نوعية فريدة لذلك كان النبي ﷺ يبين لنا أهمية صياغة الشخصية المسلمة والتربية الإسلامية الصادقة فهذا بلال رضي الله عنه تحت الصخرة يقول أحد أحد وما تغير ولا تردد بل تغير من كان يجلدته فاسلم بعضهم وهذا كعب بن مالك جاءه الإغراء من قبل الدولة العظمية في ذلك الوقت الذي كان الصحابة قد نهوا عن كلامه وامروا بمقاطعته فلم يستجب لهذا النداء لذلك كانت التربية في أعلى المستويات المطلوبة وهذه الدار هي التي أخرجت هؤلاء الكوكبة من أصحاب النبي ﷺ .

٣. الأثر الروحي :

٤. الأثر العقلي :

٥. الأثر الأخلاقي :

[illegible]

(١٦) سورة الإنعام ١٥١ - ١٥٣

[illegible]

٦. الأثر الجسدي :

بما كان ﷺ يوجههم إلى حقوق الآدمي الجسدية من مطعم ومجلس ومشرب ومسكن وإلى غير ذلك وعدم الإفراط أو التفريط بها لأنها تؤدي إلى ضعف العبادة ، وعلو الهمة والعزيمة .

فهذه الآثار لربما يتصور البعض أنها أمر عادي لكن الحقيقة اعمق أقوى ، لان الاستهانة بها قد الناس إلى الاستهانة بأمر أخرى منها ما يخص أمر الدين ككل حتى اهتموه بأنه لا يصلح لقيادة البشرية اليوم ، كما يروج لهذا الأعداء وأذئابهم .

(١٧) سورة الإسراء ٢٣ - ٣٨ .

المبحث الثاني

المكان وأثره في العهد المدني

" المسجد النبوي نموذجا "

المسجد لغة : هو مفعّل بالكسر اسم لمكان السجود ، وبالفتح اسم للمصدر ، قال أبو زكريا الفراء :

كل ما كان على فعل يفعل كدخل يدخل كالمفعّل منه بالفتح اسما كان أو مصدرا ، ولا يقع فيه الفرق . مثل دخل مدخلا .

ومن الأسماء ما ألزموها كسر العين ، منها : المسجد ، والمطلع ، والمغرب والمشرق وغيرها ، فجعلوا الكسر علامة للاسم ، وربما فتحه بعض العرب ، وقد روى : المسجد والمسجد والمطلع والمطلع ، قال : والفتح في كله جائز ، وإن لم نسمعه .

جاء في الصحاح : والمسجد بالفتح : جبهة الرجل حيث يصيبه السجود ، ويقال : مسجد بفتح الميم حكاية غير واحد (١٧) .

أما المسجد شرعا : فكل موضع من الأرض لقوله ﷺ : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أمة بأسود ، وأحللت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا ، فأما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة " (١٨) وهذا من خصائص هذه الأمة ، قال القاضي عياض : لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته .

(١٨) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص/٢٦/ والقاموس ٣٠٠/١ مادة (سجد) والصحاح ٢/

٤٨٣-٤٨٥ ، وتاج العروس ٣٧١/٢ - ٣٧٢/٣ مادة سجد

(١٩) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث : ٨٤١

واما أسس بناء المسجد فهي :

١. التوحيد وتقوية الصلة بالله ﷻ . فالمسجد ليس مكان عبادة وحسب ، بل مركزا لغرس معاني الإيمان بالله ﷻ وزرع لعلو الهمة في التمسك بخلائق الإيمان ، وهذا واضح من خلال تأكيده على الصلوات الخمس والمحافظة عليها في المسجد .
٢. تقوية أواصر المحبة فيما بين أفراد الأمة بعضها ببعض ، وذلك هو سر النبي ﷺ عندما آخى بين المهاجرين والأنصار . في أول خطوة خطاها .
٣. ثم مبدأ التعامل مع الأجانب من أهل الديانات الأخرى : وذلك في اقدامه على عقد معاهدة مع اليهود وجاء في فقراتها :

- أ. أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .
- ب . وان اليهود بني عوف أمة من المؤمنين.
- ج. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .
- د. وان على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .
- هـ. وان الله جار لمن بر واتقى^(١٩) .

آثاره ورجاله :-

المسجد مركز دعوة ومنبر توجيه وتخرج منه اجيال مؤمنة تقية مجاهدة مطيعة عمرت الارض بالطاعة والخير ونشرت الاسلام في آفاق واسعة فمن المسجد الحرام انطلقت دعوة رسول الله ﷺ في ارجاء مكة بقوة الفاظها ومعانيها وهذا ظاهر في اول خطبة خطبها في مكة حين دعا قومه فقال ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تتامون ولتبعثن كما

(٢٠) ينظر السيرة النبوية لابن هشام / ٢ - ١٦٦ - ١٦٧ ، وفقه السيرة للبوطي ص ١٥٦ .

تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة ابدأ او نار ابدأ .

واما ما كان منه ﷺ في اول جمعة صلاها بالمدينة فجاء فيها : ((وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا ما احسن الله اليكم واعملوا لما بعد الموت فانه من اصلح ما بينه وما بين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ما لا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم)) . من هنا نستطيع ان نجل اهم الآثار التي تركها لنا رسول الله ﷺ وهو يعلم اصحابه فنقول :

١. التذكير بالله دائما والتحابب فيه :

ف نجد أن رسول الله ﷺ كانت له خطب تذكر بالله وتدعو إلى حبه كما تدعو إلى التنفير من الدنيا وبيان العلم الشرعي وفضله ثم تلك الخطبة الجامعة العظيمة في حجته التي ودع الناس فيها وأعطاهم دروسا قيمة تحمل وصايا نافعة في البعد عن الظلم وترك الربا والايصاء بالنساء خيرا مما ينير للامة الإسلامية في كل قرونها المقبلة طريقا هاديا يرضاه الله ورسوله ﷺ ويفوز سالكوه بالدنيا والآخرة وهكذا كان حال خلفائه الراشدين المهديين عمروا منابر المساجد على ما تركهم عليه رسول الله ﷺ وسارت على هذا النمط الأجيال المؤمنة من بعدهم تستخدم منابر المساجد في الإرشاد والتوجيه والإنذار والتحذير وبيان الأحكام وغرس العقيدة الصحيحة وعلاج ما في المجتمع من عيوب والحث على المنهج الصحيح حتى يعيش المجتمع المسلم نقيا متوادا متراحما^(٢٠) كما وصفهم النبي ﷺ : " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد

(٢١) ينظر الكامل في التاريخ / ج ٢ ٤٠ - ٤١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٣ .

بعضه بعضا" (٢١) و: " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " (٢٢) .

٢. التزام الدعوة والحث عليها دائما :

إن منابر المساجد كانت رحبات مشرقة نورت عقولا مؤمنة وخرجت دعاة مخلصين يأخذون بزمام القلوب ويمتلكون الأبواب بالفصاحة والبلاغة وروعة الأسلوب وحسن الاستشهاد وهي في وقتنا الحاضر مدعومة بخطباء وعلماء أجلاء تخرج جلهم من المساجد وفي مجال الدعوة وتخريج الدعاة فكان للمساجد اثر بالغ فقد تخرج عباقرة الصحابة ونحارير التابعين ومن بعدهم من القرون فمعاذ بن جبل رضي الله عنه أرسل داعية إلى اليمن وأمين هذه الأمة أبو عبيدة إلى اليمن وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ قال لابن عمه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا ، خير لك من أن يكون لك حمر النعم)) (٢٣) فصحابة رسول الله ﷺ كانوا رسله إلى الآفاق يعلمون الناس دينهم ويمحقون معالم الشرك وآثار الوثنية وتلاهم على هذا النهج أساتذة كبار ومشايخ أمناء في شتى العصور والأجيال فعمر بن عبد العزيز واحمد بن حنبل والشافعي ومالك وأبو حنيفة وشيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم وغيرهم ممن نشروا الدعوة بألسنتهم الصريحة بالحق وكتبهم النافعة التي ملأت مكتبات العالم وأثرتها إثراء جما لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه المؤلفات وحقت فيه كتب كثيرة في شتى العلوم في البلاد الإسلامية (٢٤) .

(٢٢) صحيح البخاري - كتاب الصلاة أبواب استقبال القبلة - باب تشبيك الأصابع في

المسجد وغيره حديث : ٤٦٩

(٢٣) صحيح البخاري - كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم - حديث : ٥٦٧١ .

(٢٤) صحيح البخاري باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي -

حديث : ٣٥١٩ .

(٢٥) مساجد القاهرة ومدارسها احمد فكري /الاسكندرية ١٩٦١ ص ٣٥ .

٣. تعليم القرآن الكريم وتحفيظه :

للمساجد حلقات لتعليم القرآن وتحفيظه وفهم لمكنوناته واستنباط لاحكامه ومعانيه وانتفاع بمواعظه فقد تعلمه الصحابة وحفظوه أو بعضه في مسجد النبي ﷺ وكانوا إذا حفظوا عشرة آيات منه لم يتجاوزوهن حتى يعملوا بهن ويطبقوها وقد امر المصطفى ﷺ بأخذ القرآن من أربعة كما قال : " خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - ، وسالم ، مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب " (٢٥) . ولعلمهم أكثر ضبطاً لألفاظه وأتقن لأدائه وبعضهم افقه في معانيه فكان ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة والتابعين كمجاهد بن جبر كما برع في علوم القرآن نفر كثير ممن بعدهم كابن كثير وابن جرير والقرطبي والسيوطي وابن قتيبة والفراء والشاطبي واعلام القراءات كنافع المدني وابن كثير المكي وحمزة بن حبيب الزيات وابي عمرو بن العلاء وعاصم بن النجود الكوفي وابن عامر الدمشقي وابن محيصن والكسائي وأبي جعفر يزيد بن القعقاع ويعقوب الحصري وخلف بن هشام البزاز واليزيدي والحسن البصري والأعمش وغيرهم كثيرون من القراء والمفسرين ومعربي القرآن ومتتبعي علومه بالكشف والبيان والإيضاح وحلقات القرآن مدارس واقراء وفهما واستنباطا في بيوت الله وعلى أصعدتها أمورا عظيمة مرغبا فيها تتغشاها الرحمة وتحفها الملائكة يقول الرسول ﷺ ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)) (٢٦) ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه فبيت الله مدرسة قرآنية مثمرة كان لها

(٢٦) صحيح البخاري - كتاب المناقب باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه - حديث : ٣٦٢٠ .

(٢٧) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر - حديث : ٤٩٧٣ .

الأثر العظيم إذ أنجبت فطاحل العلماء وكبار المقرئين في كل عصور الإسلام ونرى آثارها بارزة اليوم من خلال ما يشاهد في كل موسم من حلق لتحفيظ وتعليم في كل المناطق بجهود مشكورة موفقة والمتابعة من قبل الأوقاف الإسلامية وكلية القرآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجميع أقسام القرآن وعلومه في الجامعات الأخرى من بلاد المسلمين دليل واضح على ذلك^(٢٧) .

٤. علم الحديث :

كان لهذا العلم الحظ الوافر من حلق العلم المقامة في شتى المساجد الإسلامية وقد نبغ فيها محدثين وشرح حديث وعلماء فطاحل في كل فروع السنة النبوية خرجوا لنا الأحاديث وبينوا لنا صحيحها من ضعيفها في المتن والاسانيد وشرحوا الغريب وأعربوه وأثروا المكتبات الإسلامية بصنوف المؤلفات كالصحيح والسنن والمسانيد وطبقات المحدثين وكتب الغريب وغيرها ثم دروس الفقه وأصوله وقواعده وتاريخ التشريع أخذت حيزا كبيرا من المساجد مع علم الحديث تدريسا وحفظا للمتون ومناقشات مفيدة وإفتاء وتأليف حتى اتسعت دائرة هذه المواد وكثر روادها وتفوق فيها من تفوق وجادت مراكزها بأعلام الفقهاء ونوابغ الأصوليين وشيوخ القواعد وعلماء التشريع الذين ألفوا ودرسوا وأوجدوا إنتاجا علميا وفيرا غصت به المكتبات وخرجوا لنا أجيالا مؤمنة متعلمة تدعوا إلى الخير وتصد عن الشر^(٢٨) .

٥. اللغة العربية :

كما لا ننسى اللغة العربية من جملة الآثار الجليلة والعظيمة التي تركتها لنا تلك المساجد فقد درس النحو والصرف وفقه اللغة والبلاغة وغيرها من مشتقات اللغة في ردهات المساجد المباركة وبرز فيها علماء متخصصون أكاديميون بذلوا الجهد الكبير في بذل تلك العلوم لأفراد المجتمع تلقينا وحفظا واستشهادا وشعرا وإعرابا واستشفافا

(٢٨) البداية والنهاية لابن كثير / ج ٣ ص ٢١٢ .

(٢٩) الكامل في التاريخ / ج ٣ ص ٤٠٢ .

ما في الكلام العربي من محاسن بديعية وبيانية واستخلصوا لشباب الأمة ألفاظها الجزلة وأمثلتها السائرة وأساليبيها الرائعة ومعانيها المشوقة التي تستميل القلوب الى هذه اللغة العريقة .

وما من علم تحتاجه الأمة المسلمة الا وللمسجد فضل في تطويره ونشره ورفع مستواه وحث الناس على الاقتباس منه سواء كان علميا اونظريا علوم دنيا او آخرة فالمسجد ركن ركين للعلم ومعين قوي لا ينضب^(٢٩) .

٦. اثر روحي :

وفي المسجد غذاؤك الروحي وزادك الايماني تروى بين اروقته علما نافعا وتكتسب منه خلقا حميدا وسمات فريدة وتجالس فيه اهل الخير لتستفيد منهم سلوكا حسنا ونهجاً مشرفاً يحفزونك للعلم والهدى ويرشدونك للحق والتقى وتركوا به بين اقرانك فهو نعم الاليف وحبذا الخليل وارتقوا به الى اعلى الدرجات وازدادوا به تقى وهدى .

(٣٠) مساجد القاهرة ومدارسها احمد فكري /الاسكندرية ١٩٦١ ص ٣٦ .

المبحث الثالث

أهم الدروس والعبر

على المسلم وهو يقرأ كتب السيرة النبوية واية كتب اخرى في أي منهج ان يخرج بشئ من الدروس والعبر من خلال ما قرأه وحينما تصفحنا هذه السيرة وجدنا ان دار الارقم بن الارقم والمسجد النبوي كانا مكانين عظيمين في تغيير منهج الامة ورسم معالم الطريق السليم اذ تخللها الكثير من العظات والعبر ومن خلال المشاهد التي تناولها رسول الله ﷺ في العهدين المكي والمدني وبما مرت بهما من مراحل بخصائصها ومميزاتها لكل مرحلة فلا بد لنا ان نقف مع انفسنا وقفة المتأملين فيها اهم العبر والعظات وكان من اهمها :

١. اصلاح الامر الداخلي صاحب الدعوة فلا بد لصاحب الدعوة وحامل الرسالة ان يقدم على امر قبل تبليغه الرسالة وهذا يشمل المعلم في وقتنا الحاضر والاستاذ الجامعي فهما بمثابة الرسول ونعني بالاصلاح الداخلي ان يصلح حاله مع ربه ﷻ .

٢. الصدق والقناعة بالمنهج وهو امر في غاية الاهمية وهذا ما رأيناه من خلال فعل النبي ﷺ مع المدعويين في العهد المكي وتبعه اصحابه () عندما دخلوا لهذا الدين كيف ان قناعتهم بالمنهج الجديد وصدقهم دفعهم الى التمسك به اكثر .

٣. اختيار الوقت المناسب لدعوته وتبليغ رسالته وهذا ما فعله رسول الله ﷺ في دعوته السرية والعلنية في العهد المكي .

٤. التركيز على الامور الاساسية في بداية دعوته وتعليمه اذ كان النبي ﷺ يركز على مسائل التوحيد والعقيدة لاسباب معلومة وهي مرحلة انتقال من كفر الى ايمان .

٥. الاهتمام بوسائل المحبة فيما بينه وبين المدعويين والحفاظ عليها وتعزيزها وتقويتها .

٦. ان يختار مكانا مناسباً لطرح فكره او دعوته .

٧. ان يختار الاكفأ ممن حوله لتبليغ وايصال رسالته وتوزيع المهام لمن حوله كل حسب حاله .

٨. تحويل مفردات المنهج من افكار ومعتقدات نظرية الى عمل ملموس اثناء دعوته ليتأثر به الآخرون .

٩. لا يستهين بالمدعو صغيرا كان أو كبيرا رجلا كان أو امرأة فلا يعلم الخير فيمن يكون منهم

فلسفة المكان في القرآن الكريم

قراءة جمالية

ألدكتور جبار عبد الوهاب سعود

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى آلَائِهِ ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى تَوَاتُرِ نِعَمَائِهِ ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ أَصْنَفِيَّائِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَخِصَّائِهِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فإنَّ مجالات البحث في القرآن الكريم قد نمت وتوسعت في العقود الزمنية الأخيرة ، وهي آخذة بالتطور الكمي والنوعي مع تطور المكتشفات العلمية ، وتطور الرؤى الفلسفية والأدبية والنقدية واللغوية وما شابهها ، إذ تأثرت البحوث القرآنية بهذه التطورات التي فتحت أبواباً معرفية جديدة تستلهم النظريات الحديثة في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم ، ومناحي إبداعاته المختلفة .

ومن الدراسات النقدية الحديثة الكشف عن العلاقة بين الحدث وبين المكان ، ووجد أن هناك ثمة علاقة مهمة بين الفهم السليم للنص وبين المكان ، وكل ملامسة للمكان إنما هي ملامسة لشبكة العلاقات التي تربط الأشخاص بالمجال المعيشي ارتباط وجود، وانتماء، وهوية، فالمسألة المكانية لا تقف عند حدود التأطير وحسب، وإنما تتعداها إلى مجالات أوسع، تضطلع بها الدراسات الإنسانية في مختلف اهتماماتها وحقولها.

وهذا البحث خطوة على هذا الطريق حاولت فيه الكشف عن جمالية

فلسفة المكان في القرآن الكريم ، لكون المكان هو المجال الذي تجري فيه الأحداث ، ولا بدّ للحدث من إطار يشملّه، ويحدد أبعاده، ولا بدّ للحدث أن يأخذ حجمه الحقيقي استناداً لسعة المجال أو ضيقه، كما أن المكان يعود على الحدث من جهة ثانية بالقيمة الاجتماعية التي ترتبط به، ويحمله من الشحنات العاطفية التي تصاحبه .

وبالنظر لارتباط عدد كبير من الآيات القرآنية بالمكان بشكل أو بآخر ، كان لزاماً على الرؤية التفسيرية أن تلتفت إلى قيمة المكان فيه ، بعيداً عن حصر المكان في المظاهر الثانوية، بل التنقيب في عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني، والعادات القولية، والفعلية، والأخلاق، والسلوك.

ومن هذا المنطلق سعت في بحثي هذا إلى تقديم نموذج للتفسير المكاني، معتمداً على المكان في المقام الأول، ومراعاة المعاني التي يثيرها المكان في صميم السياق القرآني كله ، والقراءة على هذا النحو قراءة إشعاعية .

وأسميت هذا البحث (فلسفة المكان في القرآن الكريم . قراءة جمالية) سلكت فيه منهجاً تحليلياً قائماً على استنباط المؤشرات الدالة على التوافق بين المضامين الدلالية والإيحائية في الكشف عن هذا الترابط بالاستناد إلى المفهوم اللغوي والقرآني للآيات التي استشهدت بها في بحثي الذي اشتمل على مقدمة ، ومبحث تمهيدي وثلاثة مباحث :

عرضت في المبحث التمهيدي جذور دراسة المكان في النظريات النقدية الحديثة .

تناولت في المبحث الأول التحرر من المكان .

وتناولت في المبحث الثاني الحبس وضيق المكان .

وتناولت في المبحث الثالث الزخرفة المكانية ، وختمت بحثي بخاتمة

أوجزت فيها أهم النتائج والتوصيات ، سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعاً للخيرات ، ويستعملنا للطاعات ، إنه سميع مجيب الدعوات ، وأفضل الصلوات ، وأتم التبريكات ، على سيد السادات ، مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المبحث التمهيدي

جذور دراسة المكان

في النظريات النقدية الحديثة

ظهرت العناية بالمكان في الدراسات الأدبية التي نظرت إلى الظاهرة الاجتماعية بوصفها شيئاً ذا أبعاد مكانية وزمانية لا تختلف عن الظواهر العلمية الأخرى منذ (أوجست كونت) (١٨٥٧/١٧٩٨) الذي سعى إلى دراسة الواقع بحديثاته المادية، المحصورة في الزمان والمكان (٣٠) .

وتجلت هذه العناية بالمكان إلى القول بأن " إضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة، يساعد على تجسيدها. وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه إلى الأفهام. وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والأخلاقية، والزمنية. بل إن هذا التبادل بين الصور الذهنية والمكانية امتدّ إلى اتصاف معان أخلاقية بالإحداثيات المكانية النابعة من حضارة المجتمع وثقافته، فلا يستوي أهل اليمن وأهل الشمال، كما يتدرج السلم الاجتماعي من فوق إلى تحت (٣١) .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم استعمل هذا النوع المكاني، مثل

(٣٠) ينظر : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ج. بنروبي. ترجمة : عبد الرحمن

بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٠م : ١٢/١٣ .

(٣١) جماليات المكان ، سيزا أحمد قاسم ، منشورات عيون المقالات، المغرب، بلا تاريخ : ٦.

أصحاب اليمين وأصحاب الشمال للدلالة على أهل الجنة، وأهل النار، كما استعمل غيره من النعوت المكانية لتجسيد صور الإيمان والكفر .

والأسلوب الأنسب لقراءة المكان قراءة جمالية ، هو القراءة الإشعاعية ، أي : أنها قراءة تتخذ المكان مركزاً لمجموعة من الدوائر التي تتداح متباعدة عن المركز، فعل الحجر الذي يلقي به في الماء الساكن، فتنشأ عنه مجموعة من الدوائر التي تزداد اتساعاً كلما ابتعدت عن المركز، والقراءة الإشعاعية تنطلق من المكان وتعود إليه، كلما استنفدت شعاعاً من أشعتها. وكل شعاع إنما يمثل وجهة تسلكها القراءة لملامسة تخوم خاصة بها

ومن حسنات القراءة الإشعاعية، أنها قراءة لا تستنكف الاستفادة من المعارف المختلفة، بل تجعل همها الأول في تلقيح رؤيتها بما تقدمه هذه المعارف، حتى وإن بدت للرأي أنها واهية الصلة بالمكان، أو أن اهتمامها به، يقع في مجال غير المجال المعني ، والملفت حقاً في هذه الاستفادة، أنها كلما أوغلت في الحقول المعرفية البعيدة عن النص ، كلما عادت بعوائد تدخل على النص روحاً جديداً، كما أنها تعطي دراسة النص صفة الشمول ؛ لأنها من ضرورات الفهم (٣٢) .

إن دارس الأدب قارئ في المقام الأول ! والقراءة تحتم عليه إقامة الفهم، وضبط نتائجه. والفهم يشترط في صاحبه السعة والشمول المعرفي. وقد تقاس القراءة الحقبة بهذه السعة، لا فيما تحشد من معلومات في حصادها، بل فيما تتخير منها لتدعيم فهمها للنص. فقد يتطلب النص في هذه النقطة من الكم معرفي، ما لا يتطلبه في نقطة أخرى. وهذا التوزيع في مقادير المعرفة، هو الذي يعطي للقراءة فاعليتها، ويؤكد للقارئ عبقريته. إذ ليس العبرة في الحشد و الجمع، بل العبرة في التوزيع الذكي الذي يخدم المعنى، ويحقق للنص عطائته المفيدة.

(٣٢) ينظر : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة : ٢١٠.

إن ممارسة القراءة الإشعاعية تدرج القارئ في العملية الإبداعية إدراجاً مزدوجاً: إدراج في صلب النص، فيكون القارئ جزءاً من النص ذاته، وإدراج خارجي تكون فيه الذات القارئة هي غياب النص، والمقصود من الغياب في هذا الموطن، العمق غير المرئي من مجال النص، الذي تشكله حزم الدوائر السابقة، فكل حزمة منها تشكل عمقاً، أو كثافة نصية، لها من التوتر الإبداعي، ومن الشحنة العاطفية، ومن القصيدة المعنوية، ومن السمة الأسلوبية، ومن الصياغة اللغوية ما يحددها أثراً جزئياً في التركيب الكلي للنص الإبداعي عامة، فإذا استطعنا تحديد الحزم النصية، وألحقنا بكل واحدة منها ما يناسبها من عناصر الإبداع ومقوماته، استطعنا تأكيد وحدة الأثر الإبداعي جملة واحدة^(٣٣).

وسأعرض في هذا البحث قراءات جمالية لبعض الآيات القرآنية بما ينسجم وحجم هذا البحث عسى أن يكون مدخلاً لدراسات جديدة موسعة في هذا المجال.

المبحث الأول

التحرر من المكان

يفرض ذكر مكان ما مشاعر شتى في النفس البشرية، تتباين آثارها بتباين طبيعة المكان نفسه، فشتان ما بين ذكر الحدائق والجنان وما بين ذكر القبور والنار.

(٣٣) بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، بلا تاريخ: ٧٤.

إن الرحلة والحركة، تنفيان المكان ، ولا يكون النفي إلغاءً للمكان، ومسحاً له، وإنما النفي هو في سلب المكان خصوصية الثبوت؛ فالمكان الثابت تتباطأ فيه حركة الزمن، وتتكرر فيها دوراته بانتظام روتيني ، وإذا سلبنا من المكان خاصية الثبوت، أو قللنا تأثيرها بفعل الحركة، فقد قللنا من سلطان المكان، ومنحنا التحول فرصة تجديد عناصر الشخصية، بما يطرأ عليها من تجدد، تكتسبه من الأمكنة الأخرى .

لذلك كانت الرحلة عند العربي القديم عنوان الانعتاق والتحرر، يحن إليها كل حين، وكأنها جزء أساسي من تركيبته الشخصية، يألفها كل الإلف على الرغم من صعوبتها ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا التحرر في قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (٣٤) ، في رحلة الصيف والشتاء إشارة إلى ديمومة الحياة المعبر عنها بالنشاط التجاري الذي يمدّ قريش بعوامل القوة والتميز ، ولهذا أوجب الله تعالى عليهم شكره على هذه النعمة الجليلة بقوله : ﴿ فَلْيُعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (٣٥) .

فهذه الرحلة تمنح زخماً للحياة، وتكفل له المعاش، والاستقرار، والأمن ، لذا أمر الله تعالى قريش أن يألفوا عبادة رب هذا البيت ، كما ألفوا رحلة الشتاء إلى اليمن يلتمسون الدفء والتجارة، ورحلة الصيف إلى الشام يلتمسون البرد بعد أن طلبوا التجارة (٣٦) .

(٣٤) سورة قريش : الآيتان ١ . ٢ .

(٣٥) سورة قريش : الآيتان ٣ . ٤ .

(٣٦) ينظر : جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ الْمَعْرُوفِ بِ(تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ) ، لأبي جعفر مُحَمَّدَ بْنِ جَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ خَالِدِ بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَالِبِ الْأَمَلِيِّ الطَّبْرِيِّ ، (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق : محمود مُحَمَّد شاكِر وأحمد مُحَمَّد شاكِر ، مؤسسة الرسالة ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م : ٣٠ / ٣٠٧ ، والدَّرُّ الْمَنْشُور ، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين

والرحلة ، أي : الانتقال من مكان إلى مكان تتناقض " الانغلاق في مكان واحد، دون التمكن من الحركة، فإن هذه الحالة تعبر عن العجز، وعدم القدرة على الفعل، أو التفاعل مع العالم الخارجي، أي : مع الآخرين " (٣٧) .

قال القرطبي : " لقد أمرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لأجل إيلافهم رحلتين ، ودخلت الفاء لأجل ما في الكلام من معنى الشرط ؛ لأن المعنى إما لا فليعبده لإيلافهم على معنى : ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه ، فليعبده لشأن هذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة " (٣٨) .

إن هذا الاعتناق من المكان يكاد يكون منهجاً قرآنياً عاماً لتذليل كثير من الصعوبات التي تواجه الإنسان أو الأفراد ، ويبرز التحرر من رقة المكان مع تقلص الخيارات المتاحة ، وفي ضوء هذه الحقيقة التي تعززها آيات أخرى ، يظهر رجحان هذا التأويل في مقابل ما نقل عن عكرمة : " كانت قريش قد ألفوا رحلة إلى بصرى ، ورحلة إلى اليمن ، ف قيل لهم : فليعبدوا رب هذا البيت ، أي : يقيموا بمكة " (٣٩) .

وليس الأمر قاصراً على قريش في رحلتهم هذه ، بل يبرز التحرر من المكان لعلاج العوز والعسر المادي ، من ذلك أمره تعالى بالضرب في

عبدالرحمن بن أبي بكر السُّيُوطي ، (ت ٩١١ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوت ، ١٩٩٣ م : ٦٥٣/٨ .

(٣٧) بناء الرواية : ٧٧٠ .

(٣٨) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالْمَبِينُ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السَّنَةِ وَآيِ الْفَرْقَانِ ، لأبي عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْر بن فَرْح الأنصاري الْخَزْرَجِي الْقُرْطُبِي ، (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْدُ الْعَلِيمِ الْبِرْدُونِي ، دار الشعب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٧٢ هـ : ٢٠/٢٠٩ .

(٣٩) جامع البيان : ٣٠٧/٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠٩/٢٠ .

مناكب الأرض في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٤٠) .

أن هذه الآية الشريفة دالة على قيمة التحرر من المكان وأهميته ، وذلا من الله تعالى على عباده في مستهل الآية بتذليل الأرض ، أي : جعلها غير صعبة يسهل جداً السلوك فيها (٤١) ، ويرشد لهذا صيغة فعول الدالة على المبالغة في التذليل (٤٢) ، قال ابن عطية : " الذلول فعول بمعنى مفعول ، أي : مذلولة كركوب وحلوب " (٤٣) .

ولا يقف تأكيد الأمر عند هذا الحد ، بل يؤيده أيضاً تقديم (لكم) على مفعولي الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم ، والتشويق إلى ما أُخِّرَ ، فإن ما حقه التقديم إذا أُخِّرَ لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن (٤٤) .

(٤٠) سورة الملك : الآية ١٥ .

(٤١) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي ، (ت ٩٨٢ هـ) ، دَار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ : ٧ / ٩ .

(٤٢) ينظر : البحر المحيط ، لأبي عبد الله أنير الدين مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان الأندلسي الشهير بابن حيَّان وبأبي حيَّان ، (ت ٧٥٤ هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٩ هـ : ٨ / ٢٣٠ ، والدّر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأبي العباس شهاب الدين بن يوسف بن السمين الحلبي ، (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق : الشيخ علي بن معوض ، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، وجاد مخلوف جاد ، وزكريا عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م : ٦ / ٣٤٥ .

(٤٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، المعروف بـ (تفسير ابن عطية) ، لأبي مُحَمَّد عبدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي ، (ت ٥٤١ هـ) ، تحقيق : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد إبراهيم ، مؤسسة دار العلوم ، الدوحة ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م : ١٥ / ١٣ .

(٤٤) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٧ / ٩ .

وكذلك مجيء الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِهَا ﴾ لترتيب الأمر على الجعل المذكور، على الراجح^(٤٥) ، كلّ هذا يدل على أهمية التنقل لكسب الرزق ، وضرب المناكب قرينة المكنية في الأرض^(٤٦) .

والمراد أنه ليس هنا أمر بالمشي حقيقة ، وإنما القصد به إلى جعله مثلاً لفرط التذليل سواء كانت المناكب مفسرة بالجبال ، أو طرقها وفجاجها^(٤٧) .

ثم يتجلى الغرض الحقيقي من هذا الضرب في الأرض ، من أجل الانتفاع بما أنعم جل شأنه ، وكثيراً ما يعبر عن وجوه الانتفاع بالأكل ، لأنه الأهم الأعم ، فالأكل مجاز عن الالتماس من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم^(٤٨) .

وقد تأتي الدعوة إلى التحرر من المكان لباعث آخر غير الكسب والرزق ، مثل مراجعة النفس ، والإمهال للتفكير في عواقب الأمور ، من ذلك الأمر بالسياحة في قوله تعالى : ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ

(٤٥) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٧ / ٩ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبدالله الألوسي البغدادي ، (١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ : ١٤ / ٢٩ .

(٤٦) ينظر : عناية القاضي وكفاية الرازي ، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، (ت ١٠٦٩ هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، ١٢٨٣ هـ : ٨ / ٢٢٢ .

(٤٧) ينظر : الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م : ٥٨٠ / ٤ .

(٤٨) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف ب(تفسير البيضاوي) ، لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي ، (ت ٦٨٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م : ٨ / ٢٢٣ .

γ

على النظر والاعتبار ، وذكر المسير لتوقفه عليه^(٥٦) .

وقد روي في فضل الأسفار للاعتبار قول مالك بن دينار : " أوحى الله تعالى إلى موسى . عليه السلام . أن اتخذ نعلين من حديد وعصا ، ثم سحّ في الأرض ، فاطلب الآثار والعبر حتى تحفى النعلان وتتكسر العصا " (٥٧) .

ولا يتوقف السفر والترحال على البر ، فقد جاء المنّ على الناس بركوب البحر ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ (٥٨) ، فجريان السفن في البحر يحقق منافع كثيرة للإنسان منها تعبيده مثل الحج والعمرة والجهاد والدعوة إلى الإسلام ، ومنها دنيويه بها تقوم حياة الناس مثل التجارة ، ونقل المتاع ، والحصول على ثروات البحر التي خلقها الله للإنسان كما في قوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٥٩) ، أي : ينتفع بهذا الطعام المقيم والمسافر^(٦٠) ،

(٥٦) ينظر : حاشية الشهاب : ٦ / ٣٠٣ .

(٥٧) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْمُسَمَّى بِ(تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِير) ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عُمَرَ كَثِيرِ الْفُرْشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ ، (ت ٧٧٤ هـ) ، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، بَيْرُوتُ ، ١٤٠١ هـ : ٤٣٨/٥ ، وَ الدَّرُ الْمَنْثُورُ ، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبد الرحمن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيِّ ، (ت ٩١١ هـ) ، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، بَيْرُوتُ ، ١٩٩٣ م : ٣٦٥/٤ .

(٥٨) سورة البقرة : من الآية ١٦٤ .

(٥٩) سورة المائدة : من الآية ٩٦ .

(٦٠) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٤١/٢ ، وَاللُّبَابُ فِي غُلُومِ الْكِتَابِ ، لأبي حفص عُمَرَ بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، (ت ٨٨٠ هـ) ، تحقيق وتعليق : عادل أَحْمَدُ عَبْدُ الموجد ، وعلي مُحَمَّدٌ معوض ، شارك في تحقيقه : د . مُحَمَّدٌ سعد رمضان حسن ، ود . مُحَمَّدٌ المتولي الدُّسُوقِيُّ الحرب ، منشورات مُحَمَّدٌ علي ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ ، بَيْرُوتُ ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م : ٥٣٢/٧

وفي قوله (وللسيارة) إشارة أخرى إلى السفر والترحال^(٦١) .

ومسك الختام في هذا هو الأمر الإلهي بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، إذ كان الرحيل عن المكان هو الحل الوحيد لمشكلات المسلمين في مكة ، ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(٦٢) ، إذ جعل الخروج من ديار الكفر والانتقال عنها ومفارقة أهلها إلى دار الإسلام وأهلها ، هو الفيصل في التفرقة في الموالاة^(٦٣) .

المبحث الثاني

الحبس وضيق المكان

ربط القرآن الكريم بين الحبس والمكان مادام المكان " هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث"^(٦٤) ، والتعرف عليه يرسم مسار الحدث في إطار محدد، ويكسبها الوجود الفعلي في الزمان والحيز.

والحبس في القرآن الكريم لا يخرج عن مدلوله المعتاد بوصفه ضرباً من ضروب التعذيب أو التأديب ، فهو الإقامة الجبرية الدائمة التي تتعارض مع حرية الحركة والتنقل ، وتغيب عن الإنسان منافعهما ، فورد ذكره في القرآن

(٦١) ينظر : تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مسنداً عن رسول الله . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، للإمام الحافظ عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس الرازي بن أَبِي حاتم . (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق : أسعد مُحَمَّد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط ١ ، بلا تاريخ : ٣٥/٣ ، والدر المنثور : ١٩٩/٣ .

(٦٢) سورة النساء : من الآية ٨٩ .

(٦٣) ينظر : جامع البيان : ١٤/٨ .

(٦٤) بناء الرواية : ٧٦ .

الكريم مصحوباً بالتهديد والوعيد ، كما في قول فرعون لموسى . عَلَيْهِ السَّلَام .
: ﴿ قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (٦٥) .

فرعون هنا بالغ في الإبعاد على تقدير وقوع ذلك ، حيث أكد الفعل بما أكد ، وعدل عن لأسجنك إلى المسجونين للعهد ، فكأنه قال : لأجعلك ممن عرفت أحوالهم في سجوني (٦٦) ، وهذا ضرب من ضروب التهديد قائم على خبرة السامع بأحوال المتكلم وأفعاله .

ولجأت امرأة عزيز مصر هي الأخرى إلى تهديد يوسف . عَلَيْهِ السَّلَام . بالسجن في محاولة يائسة منها لتبرئة نفسها ، ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٧) ، ويكفي للتعرف على حقيقة هذا السجن بمعرفة قرينه ، العذاب الأليم ، ولم تقل : إلا السجن أو عذاب ؛ لأن لفظ السجن يطلق على البيت الذي يوضع فيه المسجون ويطلق على مصدر سجن ، فقله : (أن يسجن) أوضح في تسلط معنى الفعل عليه (٦٨) .

وأكدت هذا المعنى في قولها : ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (٦٩) ، أي : إلا أن يحبس ، أو أن يكون من الأذلاء (٧٠) .

فهي قد انطلقت من بيئتها ومحيطها وطبقته المترفة ، التي لا تستسيغ سماع اسم السجن بله الحلول فيه ، ولم تتصور أن سلب حرية المكان يمكن

(٦٥) سورة الشعراء : الآية ٢٩ .

(٦٦) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٤٠/٦ ، وروح المعاني : ٧٣/١٩ .

(٦٧) سورة يوسف : من الآية ٢٥ .

(٦٨) ينظر : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ، لِمُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورَ ، (ت ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م : ٢٥٧/١٢ .

(٦٩) سورة يوسف : من الآية ٣٢ .

(٧٠) ينظر : أنوار التنزيل : ٢٨٦/٣ .

أن يساوم عليه ، ولكن فاجأها موقف إيماني يستسهل السجن والعذاب ، فقال يوسف . عَلَيْهِ السَّلَام . : ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٧١) ، ولم تذكر القصة معاناة يوسف . عَلَيْهِ السَّلَام . في السجن ، " على عادة القرآن في الاختصار في سوق القصص اكتفاء بالمقصود من مغزى القصة لئلا يصير القصص مقصداً أصلياً للتزليل " (٧٢) ؛ ولكن هذه المعاناة تعرف من المدة الطويلة التي مكثها من غير ذنب ﴿ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (٧٣) ، لذلك شكر الله تعالى على نعمته بإخراجه من السجن بقوله : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ ﴾ (٧٤) .

ويحذر القرآن الكريم الكفار من سوء العاقبة ، وينذرهم بعقاب أخروي شديد ، من ذلك السجن ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ ﴾ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ ﴿ (٧٥) ، والسجين على الراجح من الأقوال هي الأرض السابعة السفلى وفيها كتاب الفجار ، وذلك لأن سجين على وزن فاعل من السجن ، وهو الضيق ، كما قيل رجل سكير من السكر ، وهي مصير الفجار كما في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ (٧٦) .

لقد أدى ذكر مكان السجن في القرآن الكريم ثلاثة وظائف : وظيفة الإخبار ، ووظيفة التصوير ، ووظيفة التحذير .

-
- (٧١) سورة يوسف : الآية ٣٣ .
 (٧٢) التحرير والتنوير : ٥٩/٨ .
 (٧٣) سورة يوسف : من الآية ٤٢ .
 (٧٤) سورة يوسف : من الآية ١٠٠ .
 (٧٥) سورة المطففين : الآيتان ٧ . ٨ .
 (٧٦) سورة التين : الآية ٥ . وبه قال البراء بن عازب ، وابن عباس . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . ، وكعب ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن زيد ، وهو اختيار كل من الطبري وابن كثير . ينظر :
 جامع البيان : ٦١/٣٠ وتفسير القرآن العظيم : ٤٨٥/٤ .

ومن المعلوم أن للنمط السردى يشتمل على " مستوى ظاهري، أو صريح النص، والمستوى الثانى، الذى هو قاسم باطنى وبنىوى مشترك" (٧٧) .

فإذا وزعنا وحدات السرد على المستويين، خرجنا بنصين متداخلين/ منفصلين، صريح النص الذى يعرض مكاناً منعزلاً تقيد فيه حركة الإنسان وتمنعه من الترحال ، ونص باطنى يعرض المكان بوصفه سبباً للعذاب الجسدى والنفسى ، وتراكب النصين فى نسق واحد، تتجاوز مظهرية المكان إلى مخبريته، وتراكب النصين سيولد التناقض الحاصل بينهما نصاً ثالثاً، هو نتاج التمازج الكلى بين عناصر التكوين السردى: من إخبار، وتصوير وظيفية ، وتحذير ، إلى صريح وباطنى شكلاً وبنيةً.

المبحث الثالث

الزخرفة المكانية

من أبرز ملامح جمالية النص ما يعرف بالنظرية الأدبية الحديثة بالتشخيص ، وهو فى أبسط تعريف له يتمثل " فى خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التى قد ترتقى فتصبح حياة إنسانية.. تهبّ لهذه الأشياء عواطف آدمية، وخلجات إنسانية" (٧٨) .

ويمكن من هذا أن نفهم أن التشخيص هو حركة تحويلية تتسامى بنقل الجامد إلى الحى ، أو منح الصور الجامدة مشاعر حسية جياشة ، فهى أشبه بالصور المتحركة منها إلى الصور الجامدة ، وإن اقترنت الصورة بالاستعارة تشكّلت عناصر منظورة ومحسوسة فى إطار محدد، على وفق

(٧٧) مدخل إلى نظرية القصة ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، بلا تاريخ ١١٣ .

(٧٨) النقد الأدبى ، سيد قطب ، (١٣٨٧هـ) ، دار الشروق ، بيروت، بلا تاريخ : ٦١ .

رؤية معينة تتجاوز الأسلبة إلى فضاء المعنى.

إن الصورة وهي تقوم على التشكيل، تخضع أولاً لهندسة مبيتة خدمة لمقصد بعيد، فهي من هذه الناحية "عمل واع بهدفه" (٧٩).

ومن شأن الوعي في الحركة التصويرية أن يضيق من منافذ الخيال أولاً، حتى يسمح للصورة بترتيب عناصرها ترتيباً واعياً بالأولويات والأسبقيات، ثم يفتح منافذ الخيال ليصبغ الصورة بصبغتها الخاصة.

ومن هذا التصور يمكن قراءة كثير من النصوص القرآنية التي تحيل المكان المجرد إلى لوحة مزخرفة تعج بالحياة، حتى يتراءى للقارئ أن بإمكانه تحسسها، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٠).

فهذا النص لا يكفي بصورة واحدة، ولا بحركة واحدة، بل تتداخل فيه الصور المتحركة المتقلبة عبر فضاء اللوحة المرسومة بشفافية ودقة، وتحيل المكان المفترض إلى جنة غناء، قد تدفع بالخيال إلى تصور ميلان السنابل مع النسيم، وزقزقة العصافير على النخيل، وفي هذه اللوحة القرآنية الأخاذة انتقالات مكانية متنوعة، فمن نزول المطر من السماء، إلى تمكنه في الأرض ليسقي النباتات التي تشق طريقها إلى الأعلى، ثم تصف التحولات التي تطرأ على هذه النبتة، ابتداء ببزوغ السنبل التي تحوي الحب المتراكب؛ "الملتصق بعضه على بعض في السنبل، مثل القمح وغيره، والتفاعل للمبالغة في ركوب بعضه بعضاً، والمقصود

(٧٩) ينظر: النقد الفني، جبروم ستولنيتز. ترجمة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، مصر، ١٩٨١م: ١٣١.

(٨٠) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

بالإخبار هنا التّعجب من خروج القنوان من الطلع ، وما فيه من بهجة ، وبهذا يظهر وجه تغيير أسلوب هذه الجملة عن أساليب ما قبلها وما بعدها ، إذ لم تعطف أجزائها عطف المفردات ، على أنّ موقع الجملة بين أخواتها يفيد ما أفادته أخواتها من العبرة والمثّة (٨١)

وقوله : (دَانِيَّةٌ) ، أي: قريبة من المتناول، وفي هذا الاختزال المكاني حكمة ، إذ في ذكر القرية وترك ذكر البعيدة ؛ أن النعمة فيها أظهر وأدلّ (٨٢)

ثم تنقلنا اللوحة من حالة النخلة المنفردة إلى مكان آخر أكثر حميمية ، إلى جنات من شتى أنواع الفاكهة تضم الأعناب ، والزيتون والرمّان ، وهذه الأصناف بعضها مشتبه ، يشبه بعضه بعضاً ، ويتقارب في بعض أوصافه ، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكّهون، ويقتاتون، ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به، فقال: (انظُرُوا) نظر فكر واعتبار (إِلَى ثَمَرِهِ) ، أي: الأشجار كلها، خصوصاً النخل (إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ) ، أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبراً وآيات (٨٣) .

ففي هذه اللوحة الرائعة جملة انتقالات مكانية مهمة ، كان السيلان المعبر عنه بنزول المطر علامة على حيويتها ، والتلوين الذي أكسب المكان بريقه ، وهي حركة فيها كثير من القوة الدلالية التي تلاحقها العين، فالأخضرار يغمر المكان يعمّه من كل ناحية ، ترتاح له العين ، وتشعر معه بالألفة ، ولكي لا يتخلل الملل إلى النفوس من ثبات الصورة أو المكان

(٨١) التحرير والتنوير : ٤٠٠/٧ .

(٨٢) ينظر : الكشف : ٨/٢ .

(٨٣) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ،

(ت ١٣٧٦ هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م :

. ٢٦٧/١

، تتخلل اللوحة نفسها ألوان زاهية مختلفة تبدد الرتابة عن المكان .
وبعد كل هذا نواجه بواقعية الاعتبار ، فالاعتبار والأفكار الخلاقة
والمبدعة تزدهر في الأجواء الهادئة التي تسكن إليها النفوس وترتاح ،
ولاسيما وأن الخطاب القرآني كان موجهاً بادئ بدء لعرب الجزيرة التي تندر
فيها مثل هذه اللوحات المزخرفة لغلبة الصحارى .

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز الذي حاولت منه قراءة بعض النصوص القرآنية
المتعلقة بالمكان في ضوء الدراسات النقدية الأدبية الحديثة ، آملاً من ذلك
إيجاد مدخل جديد لهذه القراءات بما يغني النص من جهة والدرس النقدي
الأدبي من جهة أخرى .

ومع أن حجم البحث لا يتناسب مع سعة الموضوع ، لذا وقفت على
بعض الآيات بإيجاز ، لعل هذا البحث يكون باعثاً على دراسات موسعة
معمقة في هذا المجال .

وإن علمنا أن كثيراً من التصورات التي يحملها الباحثون في أول الأمر قد
تكون فكرة غامضة، في حاجة إلى إطار يمكنها من التجسد والظهور، إلا
أنّ الشروع في العمل ، والممارسة تكسب هذا الإطار واقعية التنفيذ .

وإن كانت الجهود تصبّ كلها في قناة واحدة، إلا أن نشاط الأحاد من
الناس بالتفاعل مع الآخرين يبدو وكأنه نشاط جماعي يقوم على اتفاق
مبدئي لدراسة المبحث الواحد.

لقد أظهرت جولتنا الموجزة مع المكان، المجالات الواسعة التي يمكن لهذا النمط من الدراسات والبحوث تناولها ، إذ يمكن الوقوف على أنماط كثيرة من العلاقات المكانية في القرآن الكريم ، مثل : العلاقة بين المكان واللغة، والعلاقة بين المكان والأسلوب، والعلاقة بين المكان والصورة، والعلاقة بين المكان والذات، والعلاقة بين المكان والشخصية، والعلاقة بين المكان وطبيعة الأحاسيس المنبعثة منه، والعلاقة بين المكان والأخلاق العامة والخاصة، والعلاقة بين المكان والمعمار ، والعلاقة بين المكان والأغراض الفكرية ، وغيرها ، وكل من هذه الموضوعات يصلح للدراسة بشكل موسع .

إن المكان مع اتساعه ، بحاجة إلى مزيد درس وبحث ، لكشف مضامين جديدة للنص القرآني ، بعضها يبدو نفعه في الترجيح بين الأقوال كما مر بنا في تفسير سورة قريش .

ومع أنني استشهدت ببعض المقولات الغربية استثناساً فقط ؛ لأن المكان العربي يغاير المكان الغربي ضرورة، تغاير الطبيعة والمناخ، وأن فهمه لابد وأن ينبع من ذائقة تناسبه .

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد ، وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١. النجّام لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبدالله شمس الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي القُرطُبي ، (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٢ هـ .
٢. المُحرَّر الوجيز في تفسِير الكِتَاب العَزِيز ، المعروف بـ(تفسِير ابن عطية) ، لأبي مُحَمَّد عَبْدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي ، (ت ٥٤١ هـ) ، تحقيق : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عَبْد العال السيد إبراهيم ، مؤسسة دار العلوم ، الدوحة ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م .
٣. النقد الأدبي ، سيد قطب ، (١٣٨٧ هـ) ، دار الشروق ، بيروت ، بلا تاريخ .
٤. بناء الرواية ، سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، بلا تاريخ .

٥. تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْمُسَمَّى بِـ (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ) ، لأبي الفداء عماد الدِّينِ إسماعيل بن عُمَرَ كَثِيرِ الْقُرْشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ ، (ت ٧٧٤ هـ) ، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، بَيْرُوتَ ، ١٤٠١ هـ
٦. الدُّرُّ الْمَنْثُورُ ، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدِّينِ عبد الرحمن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيِّ ، (ت ٩١١ هـ) ، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، بَيْرُوتَ ، ١٩٩٣ م .
٧. جماليات المكان ، سيزا أحمد قاسم ، منشورات عيون المقالات، المغرب، بلا تاريخ .
٨. مدخل إلى نظرية القصة ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، بلا تاريخ .
٩. رُوحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي ، لأبي الثَّناء شَهَابِ الدِّينِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَلُوسِيِّ الْبَغْدَادِيِّ ، (١٢٧٠ هـ) ، دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوتَ ، بلا تاريخ .
١٠. إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . لأبي السَّعُودِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِمَادِيِّ ، (ت ٩٨٢ هـ) ، دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوتَ ، بلا تاريخ .
١١. الْبَحْرُ الْمُحِيطُ ، لأبي عبد الله أَثِيرِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ عَلِي بْنِ يَوْسُفَ بْنِ حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ الشَّهِيرِ بِابْنِ حَيَّانٍ وَبِأَبِي حَيَّانٍ ، (ت ٧٥٤ هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٩ هـ .
١٢. الدُّرُّ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ ، لأبي العباس شهاب الدين ابن يوسف بن السمين الحلبي ، (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق : الشيخ علي بن معوض ، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، وجاد مخلوف جاد ، وزكريا عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م .

١٣. التَّحْرِيرُ وَالتَّنْزِيلُ ، لِمُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورَ ، (ت ١٣٩٣ هـ) ،
الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، (ت
٥٣٨ هـ) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي عوض ، مكتبة العبيكان
، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨م .

١٥. اللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ، لأبي حفص عُمر بن علي بن عادل
الدمشقي الحنبلي ، (ت ٨٨٠ هـ) ، تحقيق وتعليق : عادل أَحْمَدُ عَبْدُ
الموجود ، وعلي مُحَمَّدُ معوض ، شارك في تحقيقه : د . مُحَمَّدُ سعد
رمضان حسن ، ود . مُحَمَّدُ المتولي الدُّسُوقِي الحرب ، منشورات مُحَمَّد علي
، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨م .

١٦. النقد الفني ، جيروم ستولنيتز . ترجمة : فؤاد زكريا، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٨١م .

١٧. النَّهْيَاةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، لمجد الدِّين أبي السعادات مُحَمَّد
ابن مُحَمَّد ابن عَبْد الكريم الشَّيْبَانِيّ الجزري المعروف بابن الأثير ، (ت
٦٠٦ هـ) ، تحقيق : زاهر أَحْمَد الزاوي ، ومحمود مُحَمَّد الطناحي ، المكتبة
العلمية ، بَيْرُوت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩م

١٨. أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ المعروف بـ(تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِي) ، لأبي
سعيد ناصر الدِّين عبدالله بن عُمر بن مُحَمَّد الشَّيْرَازِي الْبَيْضَاوِي الشَّافِعِيّ ،
(ت ٦٨٥ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦م .

١٩. تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَسْنَدًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، للإمام الحافظ عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس الرازي
بن أَبِي حاتم . (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق : أسعد مُحَمَّد الطيب ، المكتبة
العصرية ، صيدا ، ط ١ ، بلا تاريخ

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، (ت ١٣٧٦ هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .
٢١. جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ الْمَعْرُوفِ بِـ (تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ) ، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الآملي الطَّبْرِيِّ ، (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق : محمود مُحَمَّد شاكر وأحمد مُحَمَّد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .
٢٢. الدَّرُّ الْمُنْتَوَر ، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيُوطِي ، (ت ٩١١ هـ) ، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، بَيْرُوتْ ، ١٩٩٣ م .
٢٣. عناية القاضي وكفاية الرازي ، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، (ت ١٠٦٩ هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، ١٢٨٣ هـ .
٢٤. مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ الْمَعْرُوفِ بِـ (التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ) وَبـ (تَفْسِيرِ الرَّازِي) لأبي عبدالله فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِي الْمَذْهَبِ الرَّازِي ، (ت ٦٠٦ هـ) ، المطبعة البهية المصرية ، مصر ، ط ٣ ، بلا تاريخ .
٢٥. مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ج. بنروبي. ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م .